المدرسة الكليَّة في بيروت

صدر في هذه الايام كراس المدرسة الكلية في بيروت متضمناً اسماء معلميها وتلامذتها وبيان دروسها ولما كانت عادتنا الاشارة اليه في ما سلف ذكرنا في ما يلي من الكلام ما يطابق الواقع ويقتضيه المقام

أُنشئت المدرسة الكلية سنة ١٨٦٦ ولم تأتِ سنتها العاشرة حتى بلغ صيتها اقاصي البلدان واعترف بفضلها القاصي والداني . واسباب شهرتها السريعة هذه ثلثة . اولها حسن مقاصد الذين بذلوا المال على انشائها واحكام سياسة الذين تولوا امرها فانهم جعلوها مدرسة وطنية وخصوها بابناء سورية والمكّطين بالعربية دون سواها وقرّروا ان تنتزع من يد الاجانب الذين يسوسونها وتسلم ليد الوطنيين حالما يقوم في الوطن اناس كفوء لذلك وان تجعل لغتها العربية لكي لا تتمّ منها راشحة المصلحة الاجنبية . وسموها المدرسة الكلية السورية طبقاً لذلك ودونوا ما تقرّروهُ في هذا المعنى في رسالة مطبوعة تحت اسمائهم . ومعلوم ان هذه المقاصد الشريفة والسياسة الحكيمة تجذب القلوب مهما نفرت وتكسب الانصار ولو كثر المقاومون . وثانيها انهُ كان بين الذين تولوا ادارتها اناس ذاع عرف فضلهم وشاع علمهم وانتدارهم ولا سيما كيرهم الذي لا تزال المدرسة تعرف باسمهِ عند كثيرين من ابناء السوريين الى هذا اليوم . وثالثها اجتهاد اساتذتها في التعليم والتهذيب والتأديب فخرج تلامذتهم متمازين بعلمهم وادبهم ولذلك طار صيت المدرسة في الاقطار وعادت الينا الآمال بعود العلم واشتداد عصبة المعارف

والظاهر ان طالع سورية لا يزال في نكد اذ لم يمضِ على المدرسة زمان طويل حتى صارت النفس تزين لاحداث الاساتذة من الاميركيين احراز الفخر لانفسهم وحصر نفع المدرسة فيهم وفي اولادهم وذوي قرباهم من بعدهم . وكان اول الادلة على ذلك ابدالهم اللغة العربية بالانكليزية بحجة ان الانكليزية اوفر كتباً واوسع مجالاً والحق ان هذا كان آفة على المؤلفين وواسطة لتقليل التاليف في العربية ولعدم استغناء المدرسة عن الاجنبيين بالوطنيين . ولم يطيلوا ان وقعت بينهم المناظرة حتى افضت الى المنافرة وحدوث الحادث المشهور الذي انجلى عن استعفاء اساتذة المدرسة الطبية كلهم من عمدتها ولم يبقَ منهم الاَّ استاذ واحد وهو اشهر الذين اصلوا نار المعركة . وزاد الطين بلة ان النتيجة التي بقيت في المدرسة جاهرت بان المدرسة اميركية اصلاً وفصلاً وانها تدوم كذلك الى ما شاء الله وضربت حدّاً على ابناء الوطن لا يتجاوزونهُ في الرتب المدرسية . فالمدرسة ملتئمة في آنٍ واحد الواحدة تخلي اكبر اساتذتها وتعدمها عنها وتحجب جمهور وراءهُ حبّاً بالابتعاد عن الغايات الشخصية والمحافظة على المقاصد الخيرية والاخرى تنفر ابناء الوطن منها ورجوعهم عنها

فبقيت آمال محبي المدرسة والوطن معقودة بهم الباقين فيها وكان الرجاء انهم عند سكون حركات النفس وخلوّ الجوّ من المناظرين يعوّضون عما فقدوهُ بتحسين علومها وتوسيع نطاق دروسها وبذل المجهود في اجزال الفوائد لابناء الوطن فميل القلوب اليهم اذ الغاية العظمى اصلاح الوطن سواء اصلحهُ الوطنيُّ او الاجنبي . ولذلك ما فتئنا نتسمع اخبار المدرسة الكلية منذ بارحنا الديار الشامية علنا نقف على ما يحقق الآمال فلم يبلغنا خبر تطيب بهِ النفس ولا اتصل بنا اثر تقرُّ بهِ العين الاَّ في ما كان يرد علينا من الكتابات مطبوعاً في جرائد الولايات المتحدة حيث عثرنا على مقالات لم نعهد لها مثيلاً في التلطف والتدين في المبالغة . نشير منها الى مقالة نشرت في جريدة الفرون مشتري بقلم حضرة صهر رئيس المدرسة الكلية كتبها في وصف ابناء سنتها وتفاطر المعلمين والتلامذة اليها وهو اذ ذاك مقيم في الولايات المتحدة والمدرسة مبنية في سورية وبينها سبعة آلاف ميل او اكثر . وقد اطنب فيها باوصاف المعلمين الذين كانوا بومئذٍ على وشك القيام من اميركا والمجيء الى بيروت وبمناسبتهم للمدرسة وتلامذتها وذلك قبل ان يروا

المدرسة او ان تراهم . وزاد على ذلك قوله "لم يكن للمدرسة في زمانها مشهد ابهج من المشهد الذي كان لها في بدء سنتها هذه حيث نطاق دروسها قد اتسع وقياس الطلب فيها قد ارتفع ولم تبلغ معدّاتها في زمانها ما بلغته هذه السنة . . . وعدتها الطبية سأهبة لمعالجة عشرة آلاف مريض في مستشفى مارجرجس الجاري عادتها اه"

واولا علمنا ان حضرة الكاتب بارح سورية قبل ان بارحناها وانه حكم على الامور قبل وقوعها لسلمنا بصحة ما ذكر مع مخالفته لما كان يرد علينا من بيروت . ولكن ما تقدم يدل دلالة قاطعة على انه بنى على كلام غيره لئلا نقول به حتى صار الامل عندهُ بالشيء في محل الحكم بوقوعه . ولذلك بقي محل واسع للنظر في تقريره لاسيما وان في كلامه ما يشفّ عن شبه ذمّ لما كانت المدرسة عليه ومدح لما صارت اليه . ولم يكن عهدنا في حضرة الكاتب الشيخ ولعلهُ فعل ذلك مراعاةً لمقتضى الحال اذ لا يبعد ان يكون حمو او غيرهُ في احتياج الى حزب بعضهُ في الولايات المتحدة . وهاك ما قالهُ في هذا المعنى . "ان التلامذة الذين خرجوا من المدرسة كانوا دائمًا يشتهرون بحب الوطن ولكنهم لم يكونوا دائمًا يظهرون روح المرسلين الذي يحملهم على ان يقصدوا كل مكان ويفعلوا كل فعل في سبيل المسيح" ولو لم يكن قد سبق لغيره كلام اوضح من كلامه في المراد من هذه العبارة التي لا تخلو من سمّ في الدسم لحملناها على سلامة النية وبساطة المقصد ولكن حيجيء معنا في كلام حضرة الدكتور هنري حسب ما يوضح المراد منها بأجل بيان

ثم صدر كرّاس المدرسة وفيهِ ما لو اراد الانسان ان يستخرج منهُ اضعاف ما ذكر لم يعسر استخراجهُ عليهِ

واتفق صدور الكراس ونحن في بيروت لاشغال عرضت ولدى الاستعلام تبين لنا انهُ لم يدخل المدرسة الطبية ويبقَ فيها من ابناء مصر وسورية الاَّ تلميذان في سنتين من الزمان كل سنة تليد . وذلك مع شدّة حرص المدرسة على استجلاب طلبة للطب وتدبيرها الاشغال لم تخفيفًا للنفقات عنهم وقد كانت قبل هاتين السنتين تمنح من قبول طالب قبل دفعهِ المعين عليهِ ويأتيها الطلبة مع ذلك افواجًا . وزد على ما تقدم انهُ لم يدخلها هذه السنة طالب لدرس الصيدلة والصيدلة صناعة مطلوبة عندنا . وهذا في حكمنا موجب للاسف والكدر ودليل على التأخر والانحطاط . ولا نفهم باي معنًى يصح ان يكون مشهد المدرسة الآن ابهج مشهد وهذه حالتها . وما سبب ضعفها هذا ان كان "نطاق دروسها قد اتسع وقياس الطلب فيها قد ارتفع" . وحبذا لو ان حضرة الكاتب أبان لنا في اي فن حدث الاتساع وفي اي طلب حصل الارتفاع أفي الطبيعيات ام الكيمياء ام علم السموم الذي أهمل تدريسهُ هذه السنة ام في اي علم غيرهُ الاَّ ان يكون في علمي الحيوان والنبات اللذين اشتهرا في المدرسة بتأليف وتعليم جناب صديقهِ الدكتور جورج بوست . وكيف تحقق حضرتهُ انسبية المعلمين الذين اتوا حديثًا من الولايات المتحدة لتعليم ابناء سورية قبل ان يخبروا بلادهم وما وجه انسبيتهم ألانهم ادرى من الذين سلفوهم باخلاق ابناء البلاد والعلوم التي يعلمونهم اياها او لانهم اشد غيرةً على صالحهم وخيرهم في هذه الدنيا وفي الآخرة . وما قولهم فيهم الآن وقد اختبروهم هذه الاشهر التي سلفت . فجواب ذلك كلهِ نتركهُ لشهادة ضميره وشهادة الذين درسوا عليهم من شبان سورية والزمان يجلو الحقائق ويكشف ما كان مستورًا . وحبذا لو ان المرضى الذين تطبهم العمدة العلمية يبلغون الآن بعض ما ذكر فنحن نتنع منهُ باقل ما ذكر كثيرًا اذ زمان عشرات الالوف قد ولّى منذ سعى حمو وصديقهُ ذلك السعي الحميد فآخرجا من المستشفى اعظم من كان فيهِ وحرما الوطن فوائد اشهر طيب قام فيهِ يوم لمجلى حسن مقصدها ورشد نفس انصارها بسلامة نيتها واخلاص طويتها فلقد كان الاجدر بحضرة الكاتب — ان رام لسورية خيرًا — ان يسعى في استرجاع هذه المبرّات ولا يشغل قلمهُ بتلك الطاعنات فذلك خيرٌ للمدرسة وابقى للوطن

ولا يحلو لنا ان نبين حالة العلم في المدرسة العلمية بعد ان علمنا علم اليقين ان التلامذة لم يحصلوا اكثر من نصف ما اعتادوا تحصيلهُ من كثير من العلوم بعد مضي ثلثي السنة . والذي عرفناهُ بالشواهد الكثيرة ان نطاق الدروس في المدرسة قد ضاق ولم يتسع ولم نجد دليلاً واحدًا على ان قياس الطلب قد ارتفع وانما وجدنا ادلة قاطعة على انهُ ان

دامت الحال على ما هي عليه بخطٍّ تباس الطالب اي انحطاط ولا سيما لان سياسة المدرسة متعلقة على ارادة شخص واحد تابعة لمقتضى هواهُ فينوي في نظامها ما شاء ويلغي ما شاء كما الغى الجمعية العلمية من المدرسة بعد ان اشتهرت فوائدها اشتهار نار على علم ولم يكن لالغائها غير سبب طفيف يضحك ذكرهُ فنبقيه مكتوماً . ولا يعمل بذكر هذه الجمعية في كراس المدرسة فانها مهملة كعلوم أخرى تذكر هناك ولا تدرَّس

هذه كلها نتائج خلل واضح ودلائل ضعف لا ينكر وليس في يد محبي المدرسة والوطن حيلة لملافاتها ودرء آفاتها فلذلك يتحملونها بالصبر الجميل واو وجدوا في تحملها المشقة والعناء الثقيل . وهم يتناسون ذكر مافات رجاء ان تصلح الايام ما افسدهُ تضاد الاغراض وتضارب المقاصد واملاً بانهُ متى سكن جاش النفوس وخمدت ثورة الحمقاء تتجلى مصلحة البلاد الفائضة على زمام المدرسة فتجود بما أمسكت من المنافع . ويا حبذا لو اقتدت هذه الفئة بتلك فتركت ما مرَّ نسياً منسياً وبادرت لالتئام الجروح وشفاء القروح ولكنها أبت الاَّ سنَّ المبضع وتحديد المشراط لتجديد الجراح وتبليغ الكلوم وازلك تراها لا تترك فرصة لدس السم في الدسم الاَّ اغتنمتها سرًّا وجهرًا . اما سرًّا فحيث اللسان امضى من مشراط صاحبه والحمقاء احلك من مداد الكاتب به واما جهرًا فلكم سمعنا التنديد بالذين خرجوا من المدرسة قبل هذه الايام والتعريض بقصور الذين علموهم وقلة امانتهم حتى صار المشهور في اقوالهم ان المدرسة معدن الكفر . ومنذ سنتين خطب العلامة الدكتور ورتبات خطبة على الذين خرجوا من المدرسة حينئذٍ فلم تسلم الشرة الاسبوعية — مع حسب حضرة مديرها بالمسالمة — من التصرف في كلام الدكتور المذكور والتهافت على طعن قارح في التلامذة الذين خرجوا من المدرسة احتفلهُ بعض المأجورين على تفجيعها وحملته الجرأة على نسبة اقوالهِ المختلقة الى حضرة الخطيب الفاضل حال كون الخطيب الفاضل اشرف من ان يتلوَّث بمثل ما تطق بهِ المختلق من الاقذار

الاَّ ان ما تقدم من الجنف والافتراء معروف سببهُ اذ الباعث عليهِ اما شفاء الغليل او التزلف الى شخص مقصود طمعاً بالربح منهُ او التعيش بالتملق اليهِ . ولكن ترى من يتم ما قصد حضرة الدكتور هنري حسب في مقالة نشرها حديثاً في جريدة الفورن مشنري بقولهِ "قالت لي احدى السيدات السوريات الفاضلات اليوم الحمد لله على ما بلغنا من بشائر السرور عن المدرسة الكلية فقد كنا قبلاً نخشى ان شباننا يخرجون منها متعلمين متهذبين ولكن كافرين واما الآن فقد صار لنا من البركات الحاضرة رجاء ووعد سعيد في المستقبل" اه . هذا بعد قولهِ "ان صلوات اساتذة المدرسة ومعلميها (الحاليين) وتعاليمهم الامينة احدثت فيها حركة روحية لم يسبق لها مثيل في تاريخ المرسلين في سورية ." . فالمراد من هاتين الجملتين واضح لا يحتمل تأويلاً ولا يقبل نحويلاً واقل ما يستفاد منهُ ان المدرسة اليوم تخرج شباناً ذوي صلاح وتقى لصلاح معلميها وامامتهم وقد كانت قبلاً تخرج شباناً متعلمين ولكن كافرين لسبب لا يخفى عن الطفل الصغير . ولا حجة لحضرة الدكتور بانهُ نقل كلام غيره فان ذلك لا يبرئهُ من طائلة ما كتب ولا يدفع عنهُ عاتبة ما قال لا سيما وان حضرتهُ يمنُّ بكتابتهِ عدداً كبيراً من الذين يعدونهُ ابًا رؤوفاً واخاً عطوفاً ويوافقونهُ على اعتقادهِ قلباً وقالباً ويغارون غيرتهُ على ما يمس لهُ ويشرِّف اليهِ . ولا يخفى عن حضرتهِ ان هذا الكلام لا يصدر فيما يجب عن متبع الشريعة اللطف والمحبة التي تعلم بها ديانتنا ولا جدوى لهُ ولا لغيره بكلام يؤلم العواطف ويشقُّ القلوب قبل الصدور . فان كان حضرتهُ يجد لذةً في مثل هذا الايلام فلا نخال غيرهُ من رفاقهِ مرسلي سورية يقرُّ عيناً بذلك او يرتاح الى ما يبعد الناس عنهم ويوسع الخرق عليهم وخصوصاً لان موضوع الخلاف في ما نحن بصددهِ ليس في الدين والاعتقاد بل في سياسة المدرسة ومصلحة البلاد فالمعلمون والمتعلمون الذين يعرِّض حضرتهُ بهم بموافقة اكثرهم على اعتقادهِ وانما نخالفونهُ في سياسة المدرسة الحاضرة لاعتقادهم انها فاسدة تنتج المضرة لا الفائدة

نقول هذا والاختبار يدلنا على ان حضرة الدكتور المشار اليهِ وانصارهُ من معلمي المدرسة واقاربهم ومأجوريهم

والذين يعلمون اولادهم مجانًا عندهم فيأخذون نصيب المسكين وهم اقدر الناس على تعليم اولادهم بمالهم والمتزلفين اليهم والمشيعين لهم — هولاء كلهم يخطئون نيتنا ولا يستخلصون طويتنا ويحملون كلامنا على غير مرادنا ويتهموننا بالعداوة لهم والمقاومة لمدرستهم ومقاومة النعمة بالكفر ومعاكسة الدين والقوى في المدارس والشيع لزيد ولعبد ومطامعهم بالاقلام قضاء لاغراض شخصية وشفاء لحزازات في الصدور الى غير ذلك مما سبق الينا بلاغهُ وتحقق لدينا وقوعهُ ولم يخفَ علينا امرهُ . على اننا — والله شاهدٌ — لم نكتب حرفًا مما كتبنا الاَّ اعتقادًا في الدفاع عن مبدا واجب الدفاع عنهُ وقيامًا بالواجب للوطن . واذا ليشق علينا قول كلمة ما لا يرضيهم ولكن حق الوطن فوق حقهم ومصلحة البلاد فوق مصلحة اشخاصهم . فلا شبهة في ان افاضلهم تكرموا فانشأوا المدرسة والمتكلمين بالعربية مدرسة صارت يسعى اثنين منهم محطًا لرحال شبانهم ومرتعًا للاعب فتيانهم . ولا شبهة ان افاضلهم حبًا بالبلاد اقاموا للعلم دارًا يخرج منها شبابنا كفوءًا للاصلاح في كل هيئة يدخلون اليها فصارت يسعى اثنين منهم كانها طلل مهجور او شيء غير مذكور عند الذين يقدمون ويؤخرون في مصلحة الوطن وامسى نفع الذين يخرجون منها محصورًا . ولا شبهة ان افاضلهم تبرعوا ببذل النفس والنفيس في خدمة البلاد فاختفت مساعيهم وخابت آمالهم واحترم الوطن فوائدهم يسعى ذينك الاثنين منهم . هذه اوجست الانتقاد وكشف الستار ونحن والوطن جميعًا لا نزال نعتقد هذا الاعتقاد حتى نراهم عادوا الى منهجهم الاوَّل من احكام التعليم وانتقاء الطلبة النابغين وتروِّيضهم بالتدريس والتعليم وترقيتهم في المراتب المدرسية على مقتضى المقاصد السابقة الشريفة وفتح سبيل الترقي امامهم ليشتغلوا مع الزمان مناصب المدرسة وتكون المدرسة يد ابناء بلادها كما وعدها يوم تحبو الخير وذوو الفواضل والافضال من اهل الولايات المتحدة قبل ان حولتهم الفتنة الحاضرة عن مقاصدهم وطمحت ابصارها الى احراز اغراضهم وحدودهم

هذا ما نلوم فيهِ واما ما يتعلق بنا شخصيًا فان ينكروا فالعدل شاهد اننا لم نقابل النعمة الاَّ بشكر اعظم منها ولن نزال نعترف بفضل كل المفضلين منهم الى آخر الايام . واو كان في الصدور غليل لشفيناهُ والجرح جديد والحرّك على شفائهِ شديد يوم اخفَلت عندها اتعابنا ومسَّت بقلمها آدابنا واخلفت لنا الوعود وهي لا تزال مشهورة وفي بطون الاوراق مقرَّرة ومسطورة

اخبار واكتشافات واختراعات

يسرُّنا ويسرُّ قرَّاء المقتطف الكرام الذين طالعوا كتابات الاديب الاريب والمنشئ المتفنن عزتلو سليم بك رحمي ان الحضرة الخديوية ايدها الله قد انعمت عليهِ بالرتبة الثالثة فنهنئهُ بما حاز من افضالها ونروم لهُ دوام الترقي

معمل تكرير السكر المصري

دعانا المسيو سوارس رئيس شركة تكرير السكر المصري لرؤية هذا المعمل فلبيناهُ في اوائل الشهر الغابر وسرنا في باخرتهِ نشق عباب النيل حتى بلغنا المعمل على بعد ساعة ونصف من القاهرة حيث قابلنا فيهِ مديرهُ الاديب المتفنن المسيو يوسف القطاوي فجال بنا في ابنيتهِ